

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ* فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٢٥١ - ٢٥٢)

أحداث طالوت وجالوت ليست قصصاً وأساطير

شرح الكلمات:

برز - خرج (الأقرب).
أفرغ - فرغ الماء: صبّه (الأقرب). أفرغ علينا صبراً: أعطنا نصيباً وافراً من الصبر.. أي جعلنا صابرين كاملين فلا يظهر منا ما يدل على الجزع والفرع.
انصرتنا - نصر المظلوم: أعانه: نصر فلانا على عدوه. نجاه منه وخلصه وأعانه وقواه عليه (الأقرب).

التفسير:

يقول إن طالوت وأصحابه هزموا جالوت ومن معه بإذن الله تعالى. والإذن هو السماح والعلم، ولكنه هنا بمعنى المشيئة والإرادة (المفردات).

هناك اختلاف في زمن هذه الواقعة بين المفسرين، حتى اعترض المسيحيون أيضاً وقالوا إن القرآن الكريم خلط هنا بين أحداث وقعت في زمنين منفصلين. أما قدامى المفسرين فيقولون أن هذا الملك هو. شاول (تفسير

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ* فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

(سورة البقرة)



من دروس: حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد

المصلح الموعود رحمته الله الخليفة الثاني

لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

هذه الكلمات تشير إلى تاريخ قومي

لبنى إسرائيل.

٢. يقول القرآن ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ مما

يوجب أن يحقق هذا الانتصار دائما، ولكن

شاوُل مني بالهزائم، وكان مصيره مؤلما

باعثا على الحسرة (المرجع السابق ٢٨).

٣. يقول القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ

بِنَهْرٍ﴾ أي أن هؤلاء قد اختبروا بنهر،

ولكن لا نجد أي ذكر في التوراة في

زمن شاوُل عن ابتلائهم بنهر. فعند

البحث عن هذا الشخص لا بد من النظر

إلى حادث النهر أيضا.

ومن الغريب أننا نجد في التوراة حادثا

عن نهر، وأن قوما اختبروا به، وطلب

منهم صراحة ألا يشربوا منه، ولكن

معظمهم شربوا منه فتأخروا، أما الذين

لم يشربوا فهاجموا العدو وتغلبوا عليه

(قضاة ٧). فكأن هذا الحادث الوارد

في موضع آخر من التوراة ومن غير

زمن شاوُل يؤكد البيان القرآني.

ولقد اعترض المسيحيون على هذا

البيان القرآني وقالوا أن هذا الحادث

من زمن جدعون، وخلط القرآن بين

الحادثين، وقوله ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾

خطأ، لأن داوود جاء بعد جالوت أو

جدعون بمائتي سنة، فكيف يقتله؟

وأرى أن القرآن يشير هنا إلى حادث

جدعون، والتوراة لم تذكر أن الله عيّنه،

ولكن القرآن يذكر ذلك؛ وهذا هو

كل الفرق. ما ورد في التوراة هو أن

(٤: ١٧).

ولكنني أرى أنه قبل تعيين أي شخص

يجب علينا أن نلقي نظرة شاملة على

كل العلامات التي ذكرها القرآن عن

هذا الحادث.

أولا: يبين قولهم ﴿أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا

وَأَبْنَانًا﴾.. أن بني إسرائيل أخرجوا من

ديارهم.

ثانيا: أنه عيّن عليهم ملك لم يكن من

أسرة كبيرة ولا من نسل الملوك.

ثالثا: كان الله تعالى ينصره وأصحابه،

وكان عندهم تابوت.

رابعا: اختبر هؤلاء بنهر.

خامسا: كان عددهم قليلا جدا إزاء

أعدائهم. وقلّوا أكثر بعد الاختبار.

سادسا: تغلب هذا الملك على أعدائه

رغم كل ذلك.

نعم، تنطبق بعض هذه العلامات على

شاوُل، فقد صار ملكا بتعيين من نبي.

وحقق انتصارات على الأعداء، وكان

من أعدائه شخص اسمه جالوت. ولكن

أرى أن هناك أمورا أكثر أهمية من

هذه، وتفرض علينا البحث عن شخص

آخر بدلا من شاوُل، وهذه الأمور هي:

١. قوله ﴿مَنْ بَعْدَ مُوسَى﴾، وهذه

العبارة تدفعني إلى الاعتقاد بأن هذا

الحادث وقع في زمن يبدأ منه تاريخ

بني إسرائيل. إذا ذكر داود تبين أنهم

يهود، وهذا شيء بديهي؛ فما الحاجة

إلى أن يقول من بعد موسى. الحق أن

الطبري).. عيّنه النبي صموئيل، وكان

جالوت من أعدائه.

وتذكر التوراة قصة وجسامة شاوُل

ذكرها خصوصا فقد ورد عنه: "وكان له

ابن اسمه شاوُل شاب وحسن، ولم يكن

رجل في بني إسرائيل أحسن منه. من

كتفه فما فوق كان أطول من كل

الشعب" (صموئيل الأول ٩: ٢).

وكذلك ورد في التوراة أن شاوُل كان

من قبيلة أدنى (المرجع نفسه: ٢١).

ولكن الثابت منها أيضا أن الله سخط

على شاوُل، وانتزع منه ملك بني

إسرائيل (المرجع نفسه ١٥: ٢٦)،

وأن شاوُل مني بهزيمة نكراء على يد

الفلسطينيين، وقتلوا ثلاثة من أولاده،

وانتحر هو أخيرا (المرجع نفسه ٣١:

١-٥). ولكن القرآن الكريم يذكر

أن الملائكة تنصر هذا الملك وينال الفتح

تلو الفتح. فإذا قلنا أن طالوت الملك

هو شاوُل فلا تنطبق عليه العلامات

القرآنية.

وعندما تدبرت في هذه الآيات أعجبت

بالمعنى الذي يعترض عليه الأعداء

بسبب جهلهم. يقولون أن القرآن خلط

حدثين وقعا في زمنين مختلفين تماما.

أما المفسرون فقد حاولوا إثبات أن

زمن طالوت وجالوت وداود واحد.

ويطبقون هذا الحادث على شاوُل، لأنه

كان طويل القامة، وكان من أعدائه

شخص يسمى جليات (صموئيل الأول

الله بعث نبيا إلى بني إسرائيل، وقال لهم نبيهم هذا: قال الله لكم: لا تخافوا من آلهة الأموريين الذين تقيمون في بلدكم، ولكنكم لم تعملوا بوصيتي (قضاة ٦: ١٠). ثم تذكر التوراة أن جدعون رأى ملكا قال له: قُمْ ونجّ بني إسرائيل من أيدي المديانيين (قضاة ٦: ١٤). أما العلامات الأخرى المذكورة في القرآن فهي كلها مذكورة في هذا الحادث الوارد في التوراة أيضا. إن زمن وفاة موسى هو ١٤٥١ ق.م. أما جدعون فكان حادثته بعد وفاة موسى عام ١٢٦٦ ق.م. إذن هناك فاصل زمني بعد موسى وبين جدعون يبلغ مائتي سنة تقريبا.

وورد في الموسوعة الكتابية Encyc. Biblica أن بني إسرائيل بعد مجيئهم من مصر إلى كنعان لم يصبحوا أمة واحدة، وإنما كانوا يعيشون في أراضٍ مختلفة في صورة قبائل منفصلة لا يجمعهم ملك؛ بل لم يكن لهم ملوك لمدة مائتي سنة. فلا جنود ولا ملك (تحت كلمة إسرائيل).

وورد في التوراة أنه في عام ١٢٥٦ ق.م. ارتكب بنو إسرائيل إثما أمام الله، فجعلهم الله تحت المديانيين لسبع سنين، وكانت يدهم فوق إسرائيل، والتجأ بنو إسرائيل إلى

الكهوف واتخذوا منها بيوتا لهم (القضاة ٦: ١-٢). وهذا قريب من قوله تعالى ﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾. وإذا زرع إسرائيل ينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض إلى مجيئك إلى غزة، ولا يتركون لإسرائيل قوت الحياة ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا. فذلّ إسرائيل جدا من قبل المديانيين. وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب... إن الرب أرسل رجلا نبيا إلى بني إسرائيل فقال لهم: هكذا قال الرب إله إسرائيل: إنني قد أصعدتكم من مصر، وأخرجتكم من بيت العبودية، وأنقذتكم من يد المصريين ومن يد جميع مضايقيكم، وطردهم من أمامكم، وأعطيتمكم أرضهم. وقلت لكم إن الرب إلهكم، لا تخافوا آلهة الأموريين الذين أنتم ساكنون أرضهم، ولم تسمعوا لصوتي" (قضاة ٦: ٤-١٠).

هنا ذكر نبي ولكن لم يرد أنه عين ملكا، وكل ما جاء فيه أن ملاكا ظهر لجدعون هكذا: "وأتى ملاك الرب وجلس تحت البطم التي في غفرة التي لئوآش الأبيعزري. وابنه جدعون كان يخبط حنطة في المعصرة لكي يهرّبها من المديانيين. فظهر له ملاك الرب وقال له: الرب معك يا جبار البأس. فقال له جدعون: أسألك يا سيدي، إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه، وأين

كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا قائلين: ألم يصعدنا الرب من مصر؟ والآن قد رفضنا الرب وجعلنا في كفّ مديان. فالتفت إليه الرب وقال: اذهب بقوتك هذه وخلص إسرائيل من كف مديان. أما أرسلتكم؟ فقال له: أسألك يا سيدي، بماذا أخلص إسرائيل؟ ها عشيرتي هي الدّلي في منسى وأنا الأصغر في بيت أبي. فقال له الرب: إنني أكون معك، وستضرب المديانيين كرجل واحد" (قضاة ٦: ١١-١٦).

يذكر القرآن كلمة 'جنود' وتذكر التوراة أيضا أن المديانيين والعمالقة وبني المشرق كانوا موجودين هنا.

ثم جاء في التوراة: "وقال الرب لجدعون: لم يزل الشعب كثيرا. أنزل بهم إلى الماء فأنقيهم لك هناك. ويكون أن الذي أقول لك عنه هذا يذهب معك فهو يذهب معك، وكل من أقول لك عنه هذا لا يذهب معك فهو لا يذهب. فنزل بالشعب إلى الماء. وقال الرب لجدعون: كل من يلبغ بلسانه من الماء كما يلبغ الكلب فأوقفه وحده، وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب. وكان عدد الذين ولغوا بيدهم إلى فمهم ثلاثمائة رجل. وأما باقي الشعب فجثوا على ركبهم لشرب الماء. فقال الرب لجدعون: بالثلاثمائة رب الذين ولغوا

أحلصكم وأدفع المديانين ليدك. وأما سائر الشعب فليذهبوا كل واحد إلى مكانه. فأخذ الشعب زادًا بيدهم مع أبواقهم. وأرسل سائر رجال إسرائيل كل واحد إلى خيمته وأمسك الثلاثمائة الرجل. وكانت محلة الديانين تحته في الوادي" (نفس المرجع ٧: ٤-٨).

ثم هناك ذكر لنجاة بني إسرائيل من المديانين حيث أخذ جدعون معه ثلاثمائة من الرجال وحارب بهم وانتصر على المديانين (فقرة ٢٥). هذا الحادث يشبه ما رواه القرآن حرفا حرفا. ويؤيد ذلك ما ورد في البخاري أيضا عن البراء بن عازب يقول: "كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، لم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة (البخاري، المغازي).

وهنا ينشأ سؤال: القرآن يذكر اسم هذا الملك طالوت، ولكن التوراة تسميه جدعون؛ فكيف يمكن التوفيق بين هذين الأمرين؟

ولأتحدث أولا عن جدعون. العجيب أن معنى جدعون في العبرانية هو كمعنى طالوت في اللغة العربية. فكلمة 'جدع' تعني في العبرانية أن يقطع الإنسان شيئا ويسقطه على الأرض، أو يقشره، أو

وبسبب هذه المشابهة ذكر حادث داود هنا، وإلا فإن حادث جالوت [جدعون] على حدة ومنفصل عن حادث داود، وبينهما فاصل زمني يبلغ مائتي سنة.

يقطعه بالفأس. فجدعون هو من يقطع عدوه ويصرعه. وقد ورد في التوراة عن جدعون أنه كان بطلا كبيرا ومحاربا شجاعا (قضاة ٦-١١).

أما 'طالوت' فهو اسم وصفي لجدعون من طال: أي تفوق. فطالوت هو الذي تفوق على الآخرين وصار صاحب مجد ورفعة فوق الآخرين. كأن هذا الاسم يشير إلى أن، هذا الشخص كان قبل ذلك من أدنى الرجال، ولكنه طال وتفوق على الآخرين فيما بعد بإذن الله.

وقد ذكرت مثل هذه الأسماء الوصفية في أماكن أخرى من القرآن الكريم فقد قال الله عن رسوله محمد ﷺ ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن: ٢٠).. يقول أنه عندما يقوم عبد الله هذا- أي محمد-

ليدعو إلى ربه فإن أهل مكة يجتمعون لمهاجمته. فاسم عبد الله اسم وصفي للرسول ﷺ واسمه الحقيقي هو محمد.

وبالمثل كان طالوت اسما وصفيا لجدعون. فجدعون وطالوت في معنى

* بحسب ما جاء في القضاة ٩: ٢٢.. لم يكن حكم ابنه ٣٠ سنة بل ٣ سنوات

قوله ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾. هنا في تسلسل حادث جدعون ذكر حادثا آخر منفصلا يتعلق بداود عليه السلام، لوجود تشابه كبير بين ما حدث من جدعون وما حدث من داود. صحيح أن الفلسطينيين حاولوا طرد الإسرائيلين من فلسطين، فحاربهم جدعون وهزمهم (قضاة ٦-٨)؛ ولكن هذه كانت بداية الحروب التي انتهت في زمن داوود الذي قضى على العدو كلية. وبسبب هذه المشابهة ذكر حادث داود هنا، وإلا فإن حادث جالوت [جدعون] على حدة ومنفصل عن حادث داوود، وبينهما فاصل زمني يبلغ مائتي سنة.

بقيت بعد ذلك مسألة ينبغي حلها وهي أن التوراة تذكر أن داود هو الذي قتل جالوت (صموئيل الأول ١٧)، ولكن القرآن يذكر جالوت أيضا مع جدعون [طالوت] فقال: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

"فلنتذكر هنا - كما سبق القول - أن جالوت اسم وصفي، والمراد منه عصابة تفسد في الأرض، وكان أعداء جدعون عصابةً يفسدون في الأرض،

وكذلك كان الأعداء الذين حاربهم داود وأقر الأمن بإلحاق الهزيمة بهم عصابةً مفسدة. لذلك سميت العصابةتان باسم وصفي واحد هو جالوت. وقد ذكر الحادثان هنا معا لأن جدعون هو أول من ألحق بهم الهزيمة، أما داود فقد درهم وأبادهم تماما، فقال القرآن الكريم ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾.. أي قضى عليهم داود. وأما عن طالوت فقد قال فقط ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. والثابت من التاريخ أن جدعون ألحق الهزيمة بالأعداء في ١٢٥٦ ق.م. واستمر حكمه وحكم ابنه إلى ١١٦١ ق.م، وفي ١٠٥٠ ق.م استولى بنو إسرائيل على كنعان بيد داود عليه السلام.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُؤْمِلِينَ﴾ (٢٥٣)

التفسير:

يقول الله هنا أننا لم نذكر أحداث طالوت وجالوت على أنها قصص وأساطير، وإنما هي أنبياء تؤكد أن المصطفى ﷺ سوف يتعرض لمثلها، وسوف ينال تأييدا ونصرة من الله تعالى كما نالها الأنبياء من قبله. وهكذا يتجلى للنبيا أنه ﷺ من أنبياء الله الأخيار الصادقين - عليهم السلام.

على كنعان بيد داود عليه السلام. فالحكمة في ذكر جدعون وداود معا، وفي ربط الحادثين.. هي أن جدعون هو الملك الأول الذي حارب أعداء بني إسرائيل وخلق فيهم روح الوحدة القومية، وداود هو الملك الأخير الذي قضى على الأعداء كلية. كان جدعون نقطة البداية وداود النقطة الأخيرة في هذه الحروب.

ثم قال ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.. ذلك لأن